المبحث السابع

معاداة أولياء الله – تعالى – رضي الله عنهم

الحمد لله العلى والوهاب ، اصطفى الأمة المسلمة لوراثة الكتاب ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ ﴾ [1] ، بما تقوم به من وظيفة وما تحمل من أمانة ، وما تؤدى من مهمة فى دنيا الخلق ؛ لأنها بفيض الحق ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ ﴾ [2] ، وبما تقيمه من موازين العدل والرحمة ، وبما تمتلك من قيم الوحى السماوى السليم .

والصلاة والسلام على النبى الأواب مبلغ الكتاب شفيع الأمة يوم الحساب سيدنا محمد وآله وصحبه ومن اتبعه إلى يوم الحساب .

وبعد

فالحديث فى الصالحين المصلحين ، المربين المرشدين ، طيب جميل ، عذب سلسبيل ، تستروح النفوس فى جنباتها الأسوة الحسنة والقدوة الطيبة ، وتستضىء العقول فى إشراقاتها العبر والدروس القيمة ، وتسر القلوب الطامحة لأنوار الحق بسيرهم الطيبة ﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾ [3] ، وإن كانت فى سادتنا الرسل والأنبياء – عليهم السلام – وهى فى ورثتهم فى إرشاد الخلق إلى الحق .

وتشغف الأسماع، وترشد وتضاء العقول ، بنصوص الشرع الإسلامى المطهر،

(١) الآية ٣٢ من سورة فاطر .
(٢) آية ١٤٣ من سورة البقرة .
(٣) الآية ٩٠ من سورة الأنعام .

المثبت لمقامات وأحوال « أولياء الله ﷻ» فى كل زمان ومكان ، فى كل عصر ومصر ، فى كل شعب وقبيل وجيل : -

قال الله – سبحانه وتعالى - ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَٰتِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾﴾ (١) .

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُوا۟ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَبْشِرُوا۟ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾ (٢) .

وقال سيدنا رسول الله ﷺ : « إن الله – تعالى – قال : من عادى لى ولياً فقد آذنته بالحرب ، وما تقرب إلىّ عبدى بشئ أحبَّ إلىّ مما افترضته عليه ، وما يزال عبدى يتقرب إلىّ بالنوافل ، حتى أحبه ، فإذا أحببته كنتُ سمعه الذى يسمع به ، وبصره الذى يبصر به ، ويده التى يبطش بها ، ورجله التى يمشى بها ، وإن سألنى لأعطيته، ولئن استعاذنى لأعيذنه » (٣) .

ومع شذرات وومضات من هذه النصوص المحكمة :

الولى : الولى فعيل بمعنى فاعل ؛ لأنه والى عبادة الله وطاعته من غير تخلل معصية ، أو بمعنى مفعول ؛ لأن الله ﷻ والاه بالحفظ والرعاية مقابل حفظ حدوده ورعاية أوامره ونواهيه ، وأصل الولاية المحبة والتقرب (٤) .

---

(١) الآيات ٦٢ : ٦٤ من سورة يونس .

(٢) الآيات ٣٠ : ٣٢ من سورة فصلت .

(٣) الحديث رواه البخارى فى الرقاق – باب التواضع بهذه الرواية عن أبى هريرة ﷺ ، وفى رواية زيادة « ما ترددت فى شئ أنا فاعله ترددى فى نفس عبدى المؤمن ، يكره الموت وأنا أكره مساءته » .

(٤) وانظر مختار الصحاح .

ومن معانى (الولى) : العالم بالله – سبحانه – المواظب على طاعته المخلص فى عبادته [١] .

وقيل : الولى : الذى علم فعمل بحقيقة العلم ، وهو الطاهر قلبه ، البريئة يده ، المتحاب مع إخوانه بجلال الله – تعالى – [٢] .

وقيل : ولاية العبد هى : تصديقه بالله – تعالى – وبكل ما جاء من عنده ، ثم بالإسلام بامتثال أوامره ، واجتناب نواهيه ، ثم التفويض إليه ، والتوكل عليه ، والاستسلام لأمره فى سره وعلانيته ، وشدته ورخائه ، وقوله الحق ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾ [٣] فمحبة الله ﷻ تبع لولايته [٤] .

وقيل : الإيمان والتقوى المتضمنة للتقرب بالفرائض والنوافل [٥] .

وقيل : الولى هو من داوم حفظ الله – تعالى – فى قيامه بحقوقه ﷻ فى السراء والضراء ، وهو من فرّغ نفسه لله ﷻ وأقبل بوجهه عليه ، يشمه الصديقون كأنه ريحان الله – تعالى – فى الأرض ، فتصل رائحته إلى قلوبهم ، فيشتاقون به إلى مولاهم ﷻ [٦] .

وقال الإمام الجنيد : هو عبد ذاهب عن نفسه ، متصل بذكر ربه ، قائم بأداء حقوقه ، ناظر إليه بقلبه ، فإن تكلم فبالله ، وإن نطق فعن الله ، وإن تحرك فبأمر الله ، وإن سكن فمع الله ، فهو بالله ولله ومع الله [٧] .

---

(١) فتح البارى لابن حجر ١١/ ٣٤٠ .

(٢) صفوة الصفوة لابن الجوزى ١/ ١٤ .

(٣) الآية ٣١ من سورة آل عمران .

(٤) الأسنى للقرطبى ١/ ٣٠١ وما بعدها .

(٥) السلوك لابن تيمية ص ٤٤٠ .

(٦) الرسالة القشيرية ص ٢٥٦ .

(٧) مدارج السالكين لابن القيم ٣/ ١٥ .

وكثرة المباني تدل على آصالة المعاني .

أولياء الله – جل شأنه – : هم خلص عباده القائمون بطاعته المخلصون له ، وقد وصفهم الله – سبحانه – في كتابه الكريم بصفتين هما :

أ) الإيمان

ب) التقوى : ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾﴾ .

مراتب أولياء الله – تعالى – :

١ – الرسل والأنبياء – عليهم السلام – المعصومون عن كل ذنب وخطيئة ، المؤيدون بالمعجزات من عند الله – سبحانه – .

٢ – السادة آل البيت ﷺ .

٣ – أصحاب سيدنا رسول الله ﷺ ، ﷺ الذين عملوا بكتاب الله – تعالى – وبسنة رسول الله ﷺ [١] .

٤ – من يتحقق فيه الإيمان الراسخ بالله – تعالى – والتقرب إلى الله – سبحانه – بالواجبات والمندوبات قولاً وفعلاً ، والفرار من المحظورات والمخالفات ، ويتحقق هذا فيمن صدق وأخلص لله – تعالى – دون حصر للولاية في طائفة بعينها ، قال الله ﷻ ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٥٦﴾﴾ [٢] ، فالخلاصة : أولئك المؤمنون الصادقون الذين صلحت أعمالهم ، وحسنت بالله – تعالى – صلتهم.

ومن جيد ما ينوه به : قال الفخراني الرازي : ظهر في علم الاشتقاق أن تركيب

(١) الوافي في شرح الأربعين النووية د. مصطفى البغا ص ٣٣٦ .
(٢) الآيتان ٥٥ وما بعدها من صورة المائدة .

(الواو واللام والياء) يدل على معنى القرب ، فلولى كل شئ هو الذى يكون قريباً منه[1] .

والقرب من الله – سبحانه – : إنما يتم إذا كان القلب مستغرقاً فى نور معرفته ، فإن رأى رأى دلائل قدرته ، وإن سمع سمع آيات وحدانيته ، وإن نطق نطق بالثناء عليه ، وإن تحرك تحرك فى خدمته ، وإن اجتهد اجتهد فى طاعته ، فهنالك يكون فى غاية القرب من الله – تعالى – ويكون ولياً له – سبحانه – وإذا كان كذلك ، كان الله – تعالى – ولياً له – أيضاً – كما قال الله – سبحانه وتعالى – ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُخْرِجُهُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾ ، وعبر عن إيمانهم بالفعل الماضى : للإشارة إلى أنه إيمان ثابت راسخ ، لا تزلزله الشكوك ، ولا تؤثر فيه الشبهات ، وعبر عن تقواهم بالفعل الدال على الحال والمستقبل ، للإيذان بأن اتقاءهم وابتعادهم عن كل ما يغضب الله – تعالى – من الأقوال والأفعال ، يتجدد ويستمر دون أن يصرفهم عن تقواهم وخوفهم منه – سبحانه – ترغيب أو ترهيب ، ولهم البشرى فى الحياة الدنيا بالرؤيا الصالحة والثناء الحسن والذكر الجميل ومحبة الناس ، والفتح والنصر ، ولهم ما يسرهم ويسعدهم فى الآخرة من الفوز برضوان الله – سبحانه – ومن دخول جنته[2] .

والأولياء يتفاضلون فيما بينهم بحسب تفاوتهم فى الإيمان والتقوى ، وليس من شرط الولى أن يكون معصوماً لا يغلط ولا يخطئ ، بل يجوز أن يخفى عليه بعض علم الشريعة ، ويجوز أن يشتبه عليه بعض أمور الدين[3] .

ومما ينبه عليه : الحذر الحذر من إنكار الولاية أو التنقيص من شأنهم أو التقليل من مكانتهم ، فقد روى الإمام أحمد – رحمه الله تعالى – : « أن الله – تعالى –

(١) تفسير الرازى ١٧/ ١٢٦ .
(٢) تفسير القاسمى ٩/ ٣٣٧٤ .
(٣) المرجع السابق .

قال لموسى ﷺ حين كلّمه : أعلم أن من أهان لى وليّا وأخافه ، فقد بارزنى بالمحاربة وعادانى ، وعّرض نفسه ودعانى إليها ، وإنى أسرع شئ إلى نصرة أوليائى ، أفيظن الذى يحاربنى أن يقوم لى ؟ أو يظن الذى يعادينى أنه يعجزنى ؟ أم يظن الذى يبارزنى أن يسبقنى » [1] .

وقال الطوفى : « لما كان ولى الله – سبحانه – من تولى الله بالطاعة والتقوى ، تولاه الله – سبحانه – بالحفظ والنصرة ، وقد أجرى الله – تعالى – العادة بأنّ عدو العدو صديق ، وصديق العدو عدو ، فعدو ولى الله عدو الله ، فمن عاداه كمن كان حاربه ، ومن حاربه فكأنما حارب الله » [2] .

أجل : الولاية حق ، الولاية صدق ، الأدلاء على الله – سبحانه – ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا﴾ [3] ، مربون للقلوب ، مرشدون للسبيل ، آمرون بمعروف ، ناهون عن منكر ، لهم درجات وكرامات ، جمعوا الشريعة والحقيقة .

لمثل هذا فليعمل العاملون وليتنافس المتنافسون .

رد المولى الكريم – عز وجل – مكائد المتسلفة عنهم آمين .

(١) الزهد لأحمد بن حنبل ص ٨٣ .
(٢) فتح البارى لابن حجر ١١/ ٣٤٠
(٣) الآية ٥٩ من سورة الفرقان .